Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلو استبدلنا بكلمة دخانية وصفاً آخر كـ«حزينة»، لفقدت الجملة شعريتها ولأصبحت مألوفة جداً. فإذا انتقلنا إلى الجزء الثاني من العنوان وهي: «في مرايا الليل»، لحظنا أنه يجعل لليل مرايا، فكيف يسوغ ذلك؟ لعله أراد أن يوحي بحالة نفسية تستشعر الحزن والتمزق والانسحاق والضياع وعبثية الأشياء، فالوجوه الدخانية ليس لها تحديد دقيق وإن خصّها بالوصف، فكيف إذا انعكست في مرايا الليل؟! أترانا نستشعر هذه الدهشة لو قال: «وجوه حزينة في مرايا الزجاج»، أو في المرايا؟ لا أعتقد ذلك، لأن التعبير يكون عند ذلك مألوفاً ضمن معارفنا العادية. وينسحب الانحراف على القصيدة كلها، فتبدأ على هذا النحو:

٣/١

الدُّجى يَهمي . . . وهذا الحزنُ يَهْمي مطراً من سهده، يَظْمى ويُظْمي
يَتْعَبُ اللّيلُ نزيفاً . . . وعلى رغمه يَدْمى، وينجرُّ ويُدمي
يرتدي أشلاءَه، يَمْشي على مُقلتيهِ حافياً، يَهْذي ويَومي
يَرتمي فوق شظايا جِلْده يطبخُ القيحَ، بشدقيهِ ويَرْمي

فلو استشرنا أيَّة نظرية لغوية لما سمحت بإسناد التعب، والمشي، والهذيان، والارتداء، والإيماء، والارتخاء إلى الليل، وإنما يسند إلى من يعقل، أما وقد أسندت إلى غير العاقل فهذه هي البنية التي تكسب الأبيات جمالاً وشاعرية. ولو أن الشاعر أسند هذه الأفعال إلى الإنسان لكانت بنية لغوية مألوفة.